ملاحظات حول القرآن والامامة و التاريخ و منهج تعامل الشيعة مع الآخرين

آية الله السيد جعفر مرتضى العاملی[1]

الملخص: هذا المقال يعرض وجهات نظر السيّد جعفر مرتضى العاملی حول عدّة مواضيع منها مكانة النبیّ و الامام فی الثقافة الدينيّة. ويرى الكاتب، بأنّ النبیﷺ والائمةعليهم السلام يعيشون بين الناس و يجب السير على هداهم. يعتقد الكاتب بضرورة التدبر فی الروايات التاريخيّة، كما يشير الكاتب الى تحليل الروايات التاريخيّة للقرآن، ودور القرآن فی هداية الامّة ومنهج التفسير و حلّ النزاعات على أساس تعاليم القرآن.

كلمات مفتاحيّة: جعفر مرتضى العاملی؛ النبوّة؛ الامامة؛ مصادر معرفة الدراسات المتعدّدة التّخصّصات؛ تاريخ الاسلام؛ الروايات التاريخيّة فی القرآن؛ هداية القرآن؛ منهج التفسير؛ تفاعل الشيعة مع الآخرين.

---

١. المحقق و الباحث.

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2026-02-03]

جعفر بن مصطفى بن مرتضى الحسيني العاملي

عالم دين شيعي ومؤرخ لبناني، ولد فی ٢٥صفر ١٣٦٤ هـ (٦ يناير١٩٤٥ م) في بلدة دير قانون، رأس العين الواقعة بقضاء صور بجنوب لبنان، وأصل عائلته من بلدة عيثا الجبل في قضاء بنت جبيل.درس مقدمات العلوم الإسلامية على والده في لبنان، ثم توجّه إلى النجف الاشرف لمتابعة الدراسة وذلك سنة ١٩٦٢. وفي سنة ١٣٨٢ هـ (١٩٦٢م) انتقل من النجف الى مدينة قم لمواصلة الدراسة والتدريس في الحوزة العلمية فيها. عاد إلى لبنان أواخر سنة ١٩٩٣، وأسّس هناك حوزة علمية باسم «حوزة الإمام علي بن أبي طالبعليه السلام». له العديد من المؤلفات المتخصصة في التاريخ الإسلامي. له عدد من الكتب انتقد فيها أفكار وآراء السيد محمد حسين فضل الله، أثارت جدلاً واسعاً في وقتها. بالإضافة إلى هذا، فهو شاعر ولكن إنتاجه الشعري قليل. بعض مؤلفاته تُرجمت إلى الفارسية. توفي جعفر مرتضى العاملي يوم السبت ٢٦ أكتوبر ٢٠١٩ بعد صراعٍ مع المرض، نعاه المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى وحزب الله، وشُيّع عند الساعة العاشرة من صباح الأحد ٢٧ أكتوبر من مجمع الإمام الكاظمعليه السلام في حي ماضي؛ و وري الثرى في بلدة عيتا الجبل العاملية.

فی الذکری الاولی لوفاة هذا العالم الباحث، ننشر ملخّص المقابلة العلمية التی أجرتها مجلة «امامت پژوهی» من منشورات مؤسسة الإمامة الثقافيّة، العدد السادس لسنة (٢٠١٢ م، ١٤٣٣ هجرية).

***

شئون الإمامعليه السلام

ليس الامام و النبيّ شخصيتين معزولتين عن الناس و عن حياتهم. لم يطلب من الناس أن يقدّسوهما و يتبرّكون بهما. ليس الامام و النبی يعيشان فی مكان مقدّس و يتلقّی الناس الامر و النهي منهما فقط، و يحظر علی الناس الاقتراب منهما الّا مِن أجل عرض قضية صغيرة أو ابداء الخشوع أو التمتّع بنظرة اليهما، كأنّهما ملكان يختفيان عن الأنظار.

ليس هناک ستار من الضبابيّة و اللّغز يحول دون رؤية الامام و النبيّ. انّهما لم يُخفيا أنفسهما فی غابات من الوهم و الخيال، بل انّهما يسعيان و يحاولان ويبذلان الجهد و يعيشان مع الناس وللناس و بين الناس بحيث يمكن أن نقول، انّهما أقرب إلی الناس. يراهما الناس و يتفاعلون مباشرة معهما و يتلقّون منهما كلّ شیء و يلاحظون جميع تحرّكاتهما. و لهذا يمكن أن نقول؛ ان الله جعلهما

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2026-02-03]

أسوة و اماماً. و بما أنّهما بريئان من أيّ عيب و نقص يؤدّى إلى حيائهم. لذا فإنّهما لا يخفيان شيئاً من الناس الّا ما فرض الله إخفاءه و أنّ الإخفاء لا يكون إلّا تعبّداً و حفظاً وصيانةً للسلامة العامّة للمجتمع.

هذا الحضور الدائم و الشفّاف للإمام أو النبيّ، ضروريّ لمهمّتهم فى المجتمع. مهمّة يمكن وصفها بهذه العبارات:

هداية الامّة، اصلاح شؤون المجتمع، إرشاد الناس إلى الخير، والاصلاح، والنجاح، و الفلاح و التمهيد لمنع تعدّى الأشرار و الأراذل، تثقيف الناس بطريقة تمكّنهم من السيطرة على سلوكهم و وأنفسهم و الامتناع عن طغيان الرغبات، والشهوات، و الغرائز و استخدامها فى طريق الخير و الصلاح. توفير الامكانيات بحيث يستطيع الناس أن يبنوا فى ظلّها مستقبلاً مشرقاً و مزدهراً. مستقبل تكثر فيه الخيرات و البركات و تتحقّق فيه الأهداف. مستقبل تتحقّق فيه أحلى الآمال و ألمعها.

إذا كان الأنبياء و اوصيائهم قد جاؤا من عالم آخر او أبعدوا انفسهم عن حياة الناس، لكان التأسيّ بهم و اتّباعهم أمراً عبثاً، و لكان المعنى الحقيقيّ يظهر أنّهم يواجهون فى حياتهم قضايا تجعلهم يواجهون المزالق ولم يكن بإمكان الناس العاديين الاطلاع عليها.

لكن الحضور الدائم مع الناس، حتى فى أصغر قضية من قضاياهم هو الحاجز أمام الافتراءات غير المبرّرة، والّتي تفضى إلى فضح المفترين. و بما انّه كان من المفترض أن يواجه الأنبياء و الأوصياء استكبار المستكبرين و طغيان هوى الناس وكسر محاصرة الشرع، فمن الطبيعيّ أن يكثر اعداءهم و يواجهون الشياطين الذين يدعون الناس فى الخفاء إلى العصيان و المقاومة ضدالأنبياء.

من جانب آخر، يكثر المفترون و المخلّون، و لذلک يطرحون الذرائع تجاه ما يصدر من الأنبياء و يستخدم أهل الباطل كلّ ما يمكنهم فعله لمواجهة الأنبياء و لم يتورّعوا عن إطلاق أيّ كذب أو قلب الحقائق وحرف وتزييف أيّة رواية.

ويمكن القول؛ أنّه أينما وجد الإنسان الّذي يحمل معه الهوى والهوس وطموحاته السياسيّة و الماليّة و ظلمه وبطشه، يتواجد عنده النبيّ أو الإمام من أجل مواجهته وهدايته نحو الطّريق الصحيح للحياة. فالحضور المؤثّر و الحاسم للنبيّ والامام يجعل طرح بحث الإمامة و شؤونها وحتى شخصيّة وحياة الإمام و النبيّ أمر يفرضه الأعداء ويتّخذون الحيلة والهجوم هدفاً لهم. و لهذا من الضروريّ أن

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2026-02-03]

يواجه كلّ باحث مسؤول التزييف، والتزوير و الافتراء. و هذا هو السبب لقيام علماء الشيعة بتأليف الكتب وطرح البحوث وهي فى الحقيقة ردّ على هجمات و تعدّيات الأعداء و تطهّر تراث الشيعة منها.

التوجّه الصحيح أمام الشبهات

الشبهة فى الحقيقة هي الباطل الذي يتزيّن بزخرف الحقّ و تمنح علامات و مظاهر الحق، حيث يصعب على كثير من الناس معرفتها. و هذا الامر يظهر عن مهارة المزوّرين. فالشبهة كالدّرهم و الدينار المزوَّرين حيث تكون حقيقتهما بخسة و متواضعة، لكنّهما لونّا بطريقة جعلتها شبيهة بالمعادن الثمينة كالذّهب و الفضّة.

فالتزوير يحدث عادةً فى الأشياء و القضايا التي يتنافس فيها الناس و له دور حَيويّ فى التنمية و الكمال و التقدّم. وللتزوير دور في المجالات الاعتقادية و الدينيّة والاتّجاهات، والأخلاقيات، و أغراض البشر. وخاصّة المواقف الّتي يحاول الطّامعون و أصحاب الهوى أن يخدعوا الآخرين. لأنّ المجالات الاعتقاديّة مهمّة جدّاً ومن القضايا الّتي يتعامل معها كلّ فرد وهذه الأهميّة البالغة تجعل اصحاب الأطماع والهوى يستخدمون التزوير والحيلة لأنّ القضايا العقائدية مهمّة جدّاً وهي من ضمن القضايا الّتى يُواجهها كلّ إنسان بنحو ما. وهذا ما يجعل العارفين والمطّلعين أن يرصّدوا الأعمال العدائيّة لأهل الباطل ضدّ أهل الحق. الأعمال التى تستهدف العقيدة، والفكر والايمان.

علينا أن نواجه جميع المحاولات الّتي تتمّ في مجال التخريب، التزييف، هتک العرض، التصغير و إحباط المقدّسات. لأنّ منح الفرصة للعدوّ بمعنى السّماح له لتدمير آثار الخير و الصلاح الّتي تحافظ على حدود الدين و التّشيّع أمام تعدّى العدوّ. و هذا البحث يجبر أهل الفكر و القلم لكي يكونوا يقظين ليواجهوا هذا الخطر و يحاولوا دفعه.

أهل الفكر و القلم هم المدافعون، القادة، الانصار، و الحرس لحدود الفكر و الايمان لهذه الأمّة، و عدم يقظتهم بمعنى التقصير فى حقّ الإسلام، و هذا بمعنى تدمير الدين و التّشيّع.

الفرق بين أصل الدّين و استنباطِنا منه

المشكلة التى نعاني منها نحن هي: إنّنا إذا أردنا أن نقدّم للناس خدمة ثقافيّة أو أن نقوم بمحاولة فى المجال التربويّ و الأخلاقى، نقدّم عملاً مِن صُنعِ نتاجِ أفكارنا ومعتقداتنا و نُنسبها صريحاً أو ضمناً إلى الدّين بدون وجهٍ صواب. إنّ ما ينبغي أن ننشره هو تعاليم الإسلام السمحة و عقائده

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2026-02-03]

و أوامره، أي مضامين آيات القرآن و اقوال المعصومين عليهم السلام الّتي يستخرجها المتخصّصون في الدين.، هذه التعاليم التي تكون ممزوجة بالقداسة و روح العبوديّة، تجعل الناس أكثر ثباتاً على العبودية و الاستسلام لإرادة الله والإطمئنان والسكينة. وفي المقابل، فإنّه لا قيمة لما صنعته أفكارنا، لأنّها تفتقد إلى العبودية والقداسة. و لهذا السبب لا تمنحنا السكينة و لا تُقرّبنا من مقام التسليم، و إن كانت هذه الآراء الشخصيّة مُثيرة للإعجاب عند الناس البسطاء أو تكسب رضى الجاهلين بأمور دينهم.

فخلاصة القول، علينا أن نعرّف الناس بالإسلام عن طريق آيات القرآن المحكمة و الروايات التى فسّرها المعصومون، و تقديم مناهج حياتهم و محاسن كلامهم عليهم السلام لأنّ هذا المنهج مأخوذ من ذواتهم المقدّسة الذين قالوا: لئن عرف الناس محاسن كلامهم لإتّبعوهم. و هذا الأمر جدير بالاهتمام و هو أنّ علينا أن نوجد علاقة قلبيّة بين الناس و قدواتهم العمليّة و هم المعصومون عليهم السلام. كما أنّ علينا أن نوجد علاقة قلبيّة بين الناس و القرآن (مضامينه ومعانيه ومنافعه و أغراضه).

بما انّ الاسلام ينظر إلى جميع شؤون حياة الانسان و يرافق الناس حتّى في دقائق الامور،و هذا يعنى ضرورة إجراء دراساتٍ وبحوث كثيرة في الاسلام و الدّقّة فيها، وهنا يوجد أصل لابدّ لجميع الفروع أن تنتهى إليه و هو بحر لابدّ أن تصبّ جميع الأنهار فيه، وهو أصل الإمامة.

أصل الإمامة يعني القيادة و ينبوع المعرفة و الالهام، يتحقّق ذلک فی الأنبياء و أوصيائهم الذين هم أدّلاء على الحق و الدين، و هم الصّراط المستقيم.

هذا هو الذى علينا أن نهتمّ به و نهدي الناس إليه و نوجد الإتّصال بينهم و بين هذا الأصل. لأنّ الإمام ينبوع صاف يرويهم و ينعش روحهم. الإمام هو الذى ينهيهم عن المنكرات و يدفع عنهم البلاء. الأئمة عليهم السلام ملجأ لحلّ المشاكل و اجتياز المعضلات. علينا عند تعريف الناس بالامام أن نعلم بأنّ الامامة ليست تصوّرات مجرّدة ومفاهيم محض ذهنيّة، بل هي قضية حقيقيّة و خارجيّة ترافق الانسان في جميع دقائق حياته و تؤثّر عليه.

فالإمامة منهج حياة و أسلوب عيش. فالامامة ترافق الانسان في كلّ مكان، حتّى عند تناول الأكل و الشرب، و البيع و الشراء، الحضور عند الزوجة أو الاولاد، النوم و اليقظة، الليل و النهار، السياسة، والاقتصاد و التربية، الحرب و السّلم و باختصار، فإنّ الإمامة تدخل في جميع الشؤون، الشؤون المهمّة و الحيويّة، الشؤون الصغيرة و قليلة التأثير. فلذلک يجب أن تكون قضية الامامة موجودة في كلّ مكان، لأنّ النّاس بحاجة إلى معنى الامامة،كما يحتاجون إلى الماء و الطعام و

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2026-02-03]

الهواء.

ضرورة إنجاز دراسات متعدّدة التخصّصات في تاريخ الاسلام

بما أنّ الباحث في تاريخ الاسلام يتعامل مع تقارير لها دلالات محدّدة، و عليه أن يحدّد صحّة هذه التقارير أو عدم صحّتها، فإنّه بحاجة إلى آليات تعطيه هذه الامكانيّة، لنفرض أنّه واجه تقريراً نُقل بالسّند المتّصل و يتضمّن إدّعاءاً حول شأن نزول خاصّ للآية، ومن جانب آخر ينسب كذباً، وكفراً، وسرقة، أو نسياناً فى الصلوة إلى النبيّ أو وصيّه. و يقول أيضاً: اعترضه فلان من الناس العادّيين، و كلّ هذه القضيّة حدثت في أرض فلان، الّتي تحت مجموعة الهند أو بلاد فارس. فعلى هذا الباحث في التاريخ أن يبحث عن هذه المواضيع واحداً واحداً.

أوّلاً؛ عليه أن يبحث عن سند التقرير، لعلّ هناک شخص غيرمعروف أو مشهور بالكذب في سلسلة سنده.

في المرحلة التالية؛ عليه أن يتمعّن في الآية التي يدّعي فيها شأن نزول خاصّ. لعلّ تلک الآية كانت في سورة نزلت قبل خمس سنوات أو بعد ذلک التاريخ. ثمّ عليه أن يمعن في رواية نسبت إلى النبيّ أو وصيّه، و بما أنّه ثبتت له عصمة النبيّ بالدّليل الحاسم، و يعلم أنّ الشيطان لا يمكن أن يستحوذ على النبيّ و لا يصدر عنه سهو و لا خطأ. إذن يظهر الضّعف و الوهن في هذه الرواية. و إذا تأكد أنّ الشخص الّذي قد جاء إدعاءه للإعتراض في هذه الرواية، مات قبل ذلک التاريخ أو ولد في ذلک التاريخ أو ما شاهد النبیﷺ قطّ في طول حياته، يتبيّن له ضعف الرواية أو إنّه ثبت له أنّ المحل الذي تتكلّم الرواية عنه هو مكّة، و ليس الهند أو بلاد فارس، و يعني أنّ محلّ وقوعه هو الحجاز. بعد إثبات كلّ هذه الامور، عليه أن يرفض هذه الرواية أو يردّها ويحكم عليها بالكذب و التزوير.

مع هذه التوضيحات تبين أنّ الباحث في مثل هذه الرّواية بحاجة إلى علم الرجال، والعلوم القرآنيّة، وعلم الكلام، والجغرافيّا و سائر العلوم الأخرى. بينما هذه مجرّد رواية واحدة و ربّما الرواية تشمل قضايا أخرى. مثل ارتباطها بعلم الطب ويدّعى أنّ شرب الماء يشفى الجذام، أو يرتبط بعلم الأنساب و يقول إنّ معاوية، ابن عبدالملک بن مروان، و كذلک ايضاً ارتباط الرواية بالعلوم الاخرى مثل العروض، الفقه و....

فالنتيجة تظهر أنّ على الباحث أن يكون ذا اطلاعٍ واسعٍ في العلم، بحيث يشمل علمه علوماً

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2026-02-03]

موجودة في الروايات، حتّى يستطيع بإشرافه على تلك العلوم أن يكشف الحقائق.

ضرورة التأمل في الروايات التاريخيّة

لا فرق بين منهج التفاعل مع الروايات التاريخيّة و منهج التفاعل مع الروايات الأخرى (مثل الروايات الفقهيّة والعقائديّة و التفسيريّة). الباحث بحاجة إلى السّند و الدلالة في الرواية الفقهيّة، و هوبحاجة أيضاً إلى التفصيل بين الروايات أو جمع الروايات المتناقضة، و عليه أن يعرض الرواية على القرآن أو المسلّمات الفقهيّة، والاعتقاديّة، والطّبّيّة و العلوم الأخرى.

عندما يشير القرآن إلى حادثةٍ ما، على الباحث في التاريخ أن يحدّد زمان و مكان نزول السورة أو الآية. وهو بحاجة إلى البحث عن الأحاديث التفسيريّة. و عليه أن يطابق تلك الأحاديث مع الآية. ففي حالاتٍ يحتاج الباحث إلى عمليات بحث واسعة وعميقة حتّى يحصل على أهداف الآيات و الإشارات و المختصّات الكامنة فيها. ربّما الأحاديث المنقولة في الكتب الروائيّة تحكى عن حادثة ترتبط بتاريخ شخص أو جماعة أو فيها إشارة الى قضيّة أصوليّة، وفقهيّة، واعتقاديّة أو غيرها. و في كثير من الأحيان تتضمّن الأحداث حُكماً شرعيّاً يتعارض والأدلّة الفقهيّة أو متناقضة معها أو تتوافق مع قاعدةٍ ما أو تناقضها. كثير من الحوادث التاريخيّة تشير إلى نقطة عقائدية أو ترتبط بسلوكٍ أخلاقيّ، وسياسيّ، واقتصاديّ أو تربويّ.

رُبَّ حادثةٍ تاريخيّة بحاجة إلى معرفة الحقّ و الباطل في ضوء قضيّة أصوليّة أو فقهيّة منقولة فى الروايات أو بحاجة إلى الرّجوع إلى ادلّة تلك القضيّة و الإجتهاد، حتى نستطيع أن نميّز بين الصّواب والخطأ و النقل السّالم و المحكم عن النقل الموضوع و المزيّف.

فخلاصة الكلام؛ أنّ الممارسة البحثية في الروايات تحدّد أنّه فى كثير من الأحيان على الباحث أن يستخدم فى بحوثه آلية الإجتهاد للتوصل إلى الحقّ و الحقيقة.

القرآن و الروايات التاريخيّة

القرآن ليس كتاباً تاريخياً، بل هو أرقى من جميع الكتب و النّصوص التي وصلت إلينا، أي النصوص التاريخيّة أو الفقهيّة أو الاعتقاديّة و سائر الموضوعات.

القرآن له السيادة والأفضلية على جميع الافكار، والسلوك، والمواقف، والقيم، والعقائد و المناهج. القرآن يحكم عليها و هو معيار الصواب و الخطأ، ولا شكّ أنّ كلّ ما يتعارض مع القرآن هو كذب و باطل. بل يمكن اعتماد ما لم يصرّح به القرآن و لكن جاء فى النصوص الأخرى، بشرط تطابقه

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2026-02-03]

مع المعايير القرآنيّة وتوفّره على شروط القبول من وجهة نظر القرآن. و النصوص الّتي تتوفر على الشروط الانفة الذكر تنقسم الى قسمين:

القسم الاوّل:

الروايات التاريخيّة الّتي تخالف وتعارض أصول وضوابط القرآن الثابتة؛ ومنها: عصمة الانبياء عليهم السلام، والبرائة المطلقة لأهل بيت النبوّة من كلّ رجس و عيب و نقص، وعدم جواز انتساب الظلم و الجهل الى الله، الذى لا يمكن ادراكه الابصار، بل إنّه يُدرک الأبصار، والله غفور و رحيم، وعادل و حكيم و....

فإذا نسبت رواية إلى الأنبياء تتنافى مع عصمتهم أو نسب شيء منافٍ لطهارة أهل البيت عليهم السلام، أو أن يقال بأنّ الله يرُى فى الدنيا و الآخرة، فلا شكّ أنّها تتعارض مع الأصول والضوابط القرآنيّة.

القسم الثانى:

الروايات الّتي لا يتعارض مضمونها مع محكمات القرآن، و لا تتعارض مع أىّ مِن الأصول والضوابط والقوانين التي سنّها ووضعها الله . فهذه الروايات ليس محكوماً عليها بالبطلان، بل تبقى فى نطاق الاحتمالات و طبقا لما هو متعارف عليه، فإنّه يتمّ التحقّق منها، و تقدّم قرائن على نفيها أو اثبات مضمونها طبقاً لأسلوب العقلاء.

دور القرآن فى هداية الناس إلى الامامة

لا شكّ أنّ القرآن الكريم بنى قواعد و أصولاً بنى عليها البناء العظيم للإمامة، و إذا تمعّن الناس في آيات القرآن وتطرّقوا إليها بلا عصبيّة و بإنصاف، لزالت كلّ الشكوک و تبيّن طريق الهداية عن طريق البغى والّضلال للجميع، و في هذه الحالة فإن تمسّک الجميع بالعروة الوثقى الإلهيّة التي لا انفصال لها و لا انقطاع، انّه هو السميع العليم.

هذا أمر مسلّم به؛ إنّ الله تبارک و تعالى فتح أبواب الهداية للناس مِن جميع الجهات. ولا يستطيع أحد أن يتخلّص من شرّ الشبهات التي يثيرها عبدة الهوى، والضالّون و جنود الشيطان حول الامامة. لقد فتح الله له أبواباً مختلفة أمام الانسان حتى يستطيع أن يخرج من تلک الشبهة من باب واحد أو من بضعة أبواب، هذه الأبواب التي يوصله كلّ واحد منها إلى المفهوم الصحيح للإمامة و ينبوع المعرفة الحقيقيّة.

وعلى سبيل المثال؛ يمكن أن يثار لأحد هذه الشبهة و هي: إنّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم لم يعين أميرالمؤمنين

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2026-02-03]

علىعليه‌السلام وصيّاً له، لأنّه لم يسمح عند وفاته أن يكتب شيءٌ بهذا المضمون. فحديث «الغدير» و البيعة التي بايعها الناس مع أمير المؤمنين علىعليه‌السلام بحضور النبىصلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم، هما الباب الذى يمكن للانسان أن يخرج منه بسلام، وهناک أبواب أخرى لا يمكن عدّها وإحصاءُها.

فإذا مُنعت شبهات أخرى الإنسان مِن الخروج مِن هذا الباب، فيمكن عندئذ أن يخرج مِن باب «حديث الثقلين» و إن لم يستطع مرّة أخرى، فيمكنه أن يخرج من بابِ «تصدّق اميرالمؤمنين علىعليه‌السلام بخاتمه فى الركوع» و هناک أبواب أخرى لا تُعدّ ولا تُحصى.

فبالنسبة إلى كثيرٍ من الشّبهات و المشاكل الّتي يواجهها الإنسان، يمكن القول بأنّ لكلّ إنسانٍ أن يجد ما يناسب منهجه الفكريّ، وحالاته، وظروفه و ثقافته.

النقطة الجديرة بالملاحظة هنا: إنّ الله تبارک و تعالى رحيم، و رحمن، وحكيم و عليم في تدبير أمر عباده، و لا يريد إغلاق أبواب رحمته، و تخيير الناس بين الجنّة و النار و أن يُدخل البعض فى الجنّة و أن يُلقى البعض الآخر في النار.

إنّ الله تبارک و تعالى يُعامل الناس بالتسامح و الرحمة و الصبر، يبدّل حالهم من القوّة إلى الضعف و من المرض إلى العافية ومن التعب إلى الراحة و من الفقر إلى الغنى ومن الضيق إلى الفرج، و يمنحهم فرصة اكثر. يتجمّع الناس خلال عمرهم الطويل و يتفرّقون و يسمعون و يرون. ويعترضون، ويتباحثون، ويتوادّون، و يتخاصمون، ويتقاتلون و يتصالحون، على أمل أن تعود قلوبهم و تتحوّل مصاعبهم الى الرقّة واللين.

ربّما يمكن القول إنّ سبب عدم ذكر اسم أمير المؤمنينعليه‌السلام فى القرآن هو تسامح الله مع الناس. لأنّه إن كان اسمه مذكوراً و كان الناس يُنكرون إمامته، عندها سيخرجون من الدّين، و لعلّ هذا هو سبب تقديم آية «الاكمال» على آية «التبليغ». لأنّ إرادة الله شاءت أن يكون القرآن مرجعاً للجميع و عائقاً لتفرّق الأمّة و نقطة الإتّصال بين جميع الجماعات و الطوائف والفرق.

وخلاصة الكلام أنّ للقرآن أهميّة بالغة في هداية الناس إلى الحقّ، و قد شجّعهم على التدبّر في آياته التي هي في غاية الطّلاقة و البساطة و القِوام.

شجّع القرآن الناس على التدبّر في معانيه أيضاً، المعاني التي هى في غاية الدّقّة و الرّقّة. ويتطلّب ذلک قلب صاف، و ذوق رفيع، ونفس طاهرة، وتدبّر، وتدرّب و دّقّة فائقة فى الآيات ونتيجتها الإستفادة القُصوى من العلوم و البحوث القرآنيّة. فالتدبّر في القرآن و الأنسُ به، يمنح الباحث قوّة

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2026-02-03]

مزدوجة لفهم كلام المعصومينعليهم‌السلام، وأهدافهم، و الملاحظات الدقيقة لتلك الكلمات، و يمنحه القدرة على فهم أفضل فى ما يجد في نطاق موضوع الإمامة و شؤونها في كلام و سلوك المعصومينعليهم‌السلام.

ملاحظات حول منهج التفسير

حاولت فى تاليفى لكتب التفسير، الإهتمام بظواهر الآيات. و راجعت أشعار شعراء العرب و النّصوص، و قمت بالتدقيق فى الألفاظ المترادفة لأحصل على الفوائد المستقاة من الآيات.

اضافة الى ذلک؛ حاولت أن استفيد من الروايات. وعلى سبيل مثال، فقد جاء في القرآن عن آدمعليه‌السلام: «فعصى آدم ربّه فغوى». وذكرت بعض الروايات أنّه تناول من شجرة الحسد، و حاولتُ أن أفهم المقصود من الآية إلى جانب الروايات.

السؤال الاول هو: من هو الذى حسده آدمعليه‌السلام وما موضوع الحسد؟ و بعد التدقيق فى الروايات نجد أنّ المحسودون هم النبى و أهل بيته. وما يُحسد فيه هو مناصبهم الخاصّة.

و السؤال الثانى هو: ما هو معنى حسد آدمعليه‌السلام نظراً الى عصمته؟ والجواب:

إنّ لشخصيّة مثل آدمعليه‌السلام كمال العقل و الحكمة. وهذا طبيعي، أنّه كان يطالب بجميع الكمالات، و منها درجات الكمال الذى يوجد عند محمد وآل محمدعليهم‌السلام. تمنّى آدم ان يكون بمرتبة محمد و آل محمد، و هذا التّمنّى فى الحقيقية كمال الذى يوجد لآدمعليه‌السلام. وبما أنّ مناصب محمد و آل محمدعليهم‌السلام خاصّة بهم، فالتّمنّى للحصول عليه هو سلب مقام التّفرّد. والمنصب خاصّ بهؤلاء. ولهذا فالّذى حصل هو شائبة الحسد. لم يطلب آدم سلب هذا المنصب من اهل البيتعليهم‌السلام بأيّ شكل من الأشكال. لكن الشرط القسري لطلبه هو في الواقع، الحسد، لكن طلبه كان طلب الكمال لا الحسد، و بعبارة اخرى، حُمل فعله على محمل الحسد اشتراكاً في النتيجة.

هنا ندرک أنّ الروايات تتطابق مع القرآن ووردت مِن أجل فهم الآيات. لقد وضع القرآن لنا المعايير، و علينا أن نقارن بين الروايات و التقارير و نحكم عليها.

علينا أن نستخدم هذه المعايير القرآنيّة في الدراسات الاماميّة أيضاً. فعلى سبيل المثال يقول القرآن الكريم فى اصطفاء جالوت لبنى اسرائيل: «إنّ الله اصطفاه عليكم و زاده بسطة فى العلم والجسم». و هذا هو معيار قرآنيّ. أي التعادل و التلائم في الجسم، والمعنويات، والصفات، و الملكات، والخصائص النفسانيّة و العلم. وهى مميّزات القائد، و علينا أن نطابقها مع الإمام و بحوث

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2026-02-03]

الإمامّة.

وعلى هذا، ونظراً لهذه المعايير، فإن رأينا نقصا فى الخصائص العلميّة، والأخلاقيّة، والجسميّة، أو الشؤون الاخرى، نفهم أنّه ليست لذلک الشخص أهليّة الإمامة. يقدّم لنا القرآن هذه المعايير، و علينا أن نستفيد منها.

استراتيجيات لحلّ الخلافات فى القضايا الخلافيّة

يقول الله تبارک و تعالى: «ولن ترضى عنک اليهود ولا النصارى حتى تتبّع ملّتهم». البعض يوجّه النقد أليّ والى أمثالي، أعني أنّ النقد موجّه لطريقة طرح الحقيقة، لكن في بعض الأحيان تكون القضية أبعد من هذا والإشكال ليس متوجّهاً لمنهجي، بل النقد موجّه إلى أصل طرح الحقيقة، كما كان لهم نفس المشكلة مع النبيّ الأكرمصلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ، مع أنّه كان يطرح الحقائق بأفضل الطرق، لكن كانوا يعادون النبى و يتّهمونه بذكر الاباطيل و أساطير الأولّين أو يُطلقون عليه كلماتٍ كالسّاحر والشاعر، و كانوا يقولون أنّه قد أخلّ بوحدتهم. وقد أشار عمرو بن العاص إلى هذا الموضوع خلال سفره الى الحبشة.

أمّا بالنسبة الى بيان الحقائق، فعلينا أن نقولها ولا نتوقّع أن يكون الجميع راضين عنّا، حتى ولو طرحنا ذلک بأفضل الطرق الممكنة و أجملها. لسنا أفضل من النبى والائمة الطاهرينعليهم‌السلام فى بيان منهج الحق، فى حين نرى أنّهم لم يكونوا جميعهم راضين قطّ.

علينا أن نقول الحقيقة على أساس المعايير والضوابط التي ذكرها النبيّ و اهل البيتعليهم‌السلام . علينا أن نحاول بكلّ جهدنا، لا ينبغي أن نتوقّع أن يكون الجميع راضين عنّا. علينا أن نعلم أنّ كثيراً من الناس يخسرون إذا ذكر الحقّ و الحقيقة، و على هذا إنّهم يتّهمونا بالبطلان و الضّلال.

اقتراحات لتعامل الشيعة مع الآخرين

نحن الشيعة، نُهاجَم من مختلف الجهات. نتعرضّ للهجوم من جانب أصحاب المذاهب الفكريّة و مناصروهم. و سببه أنّهم لا يستطيعون أن يواجهونا فكريّاً و علميّاً، و لهذا يلجؤون الى توجيه التّهم ويتوسلون بالسّباب والتكفير، ويشنون علينا حرباً إعلامية ويثيرون ضدّنا الأحاسيس ويبعدون عنّا شبابهم، ويبتعدون عنا بسبب التعصّب وإثارة التوتر وهم لم يدخلوا معنا بالحوار وتقديم الأدلّة.

من جانب آخر نرى الخصوم التقليديين للشيعة، هم الحكّام، والأثرياء و طلّاب الدنيا والملذات؛ لأنّ ثقافة الشيعة ترى سلوكهم وأفكارهم غير صحيحة. إنّهم يعتبرون الشيعة حاجزاً وسدّا أمامهم

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2026-02-03]

و لا يقدرون على تحمّل وجود الشيعة. و لهذا السبب يحاربون الشيعة بأشكال مختلفة و يبذلون جهدهم بكلّ قوّة، يشنون عليهم حرباً دعائيّة، ومقاطعة اقتصاديّة، وتهميش، وسجن، وحرب عسكرية وقتل، و تشريد، وإبعادهم عن الأوساط العلميّة العالميّة حتى يستخدمون هذه الأوساط فى سبيل تحقيق أغراضهم ومصالحهم.

على هذا، لا يتحمّلنا الحكّام، و لا أرباب المذاهب و لا طالبو الدنيا، لأنّنا لا نتساهل مع أحد. فعلى سبيل المثال، إذا إرتكب حاكم عملاً خلافاً للشريعة، نرى من واجبنا أن ننهاه عن المنكر. بينما غير الشيعة لا يسلكون هذا المنهج، و يعتقدون أنّهم تابعون لأوامر الحاكم، و يقولون إذا كان الحاكم راضياً عن قضيّةٍ ما، فنحن راضون أيضاً، و إن غضب فنحن نغضب مثله. يقولون: كن مع الحاكم و إن ضربک بالسوط أو غصب أموالک. فالحاكم في وجهة نظر غير الشيعة، هو ظلّ الله على الارض، لأنّ الله نصب الحاكم. لكن الشيعة ليسوا هكذا. و على هذا يرى الحكّام، الشيعة خطراً عليهم. و لهذا نحن عرضة للهجمات المختلفة، لأنّهم لا يتحمّلون أمثالنا.

أعتقد أن علينا أن نتحمّل هذا الوضع و أن نواصل طريقنا. إن أردنا أن نكون مُسلمين واقعيّين، علينا أن لا نستكين، بل علينا أن نتحمّل هذا العذاب و المصائب و البلايا حتى يظهر الإمام المهدى عليه السلام.

أخلاق الشيعة فى المناظرة مع الآخرين

يتّبع علماء الشيعة منهجاً فى المناظرة مع مخالفيهم. وقد شاهدتم منهج «السيّد عبد الحسين شرف الدين» فى مناقشة «سليم البشرى» و بحوث العلّامة الحلّي مع «ابن تيمية» و آخرين. كان هذا منهجنا و نرى هذا المنهج فى مناقشات اصحاب الائمة عليهم السلام.

هناک نقطة عجيبة صادفتها عند قراءة التاريخ و أشرت اليها فى كتاب «الخوارج» وهي:

في بعض الأحيان ترى صداقات غريبة بين أعدى أعداء أهل البيت، و أكثر شيعتهم ثباتاً. و هذا يظهر العقلانيّة المتعاليّة للشيعة و اخلاقهم السامية. الصداقات التى كانت تفضى إلى التعايش السلمى أعواماً. كيف يمكن أن نفسّر هذه العلاقة؟ هذه العقلانيّة تدلّ على المحاسن التي توجد في الثقافة الشيعيّة، لا نرى هذه الميّزة عند الطرف الآخر. لابى الحديد المعتزلي كلام يقول فيه:

كان على عليه السلام رجلاً دَمث الخُلق و الليّن، و بقيت هذه الميّزة فى شيعته حتى اليوم، أي القرن السابع. لكن كان عمر خشناً، سيّئ الخلق، و بقيت هذه الميّزات في أتباعه حتّى اليوم.

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2026-02-03]

ليست العلاقة و الصداقة بين الشيعي والسني والتي أشرنا اليها بمعنى أن الشيعي كان يكفّ عن عقيدته، بل إنّ المداراة تعني التفاعل مع من يخالفك و أن تعمل على جذبه نحوك وتحدّ من سوء خلقه. يجب تطوير البحث في نوع هذه العلاقة و نماذجها. لهذا كان منهج العلماء و أكابر الشيعة من البداية و حتى اليوم مبنيّاً على الحكمة و الموعظة الحسنة و دماثة الخُلق.

شاهد من التاريخ

أشير هنا إلى نقطة جميلة جدّاً فى التاريخ. لنا روايات تشير إلى أنّ الشيعة كانوا يعرضون معتقداتهم على الائمة عليهم السلام. أعني أنّهم كانوا يذهبون إلى الإمام و يقولون: سيدى! ومولاى! أنا أعتقد كذا، و كذا. هل هذا صحيح أم لا؟ في إحدى هذه الروايات ذهب شخص إلى الإمام و عرض عليه معتقداته حول التوحيد و النبوّة و الإمامة و القضايا الأخرى. كان هناک شخص لا يعلم تفصيلات معتقداته، و لهذا قال للامام: سيدي! ومولاي! أنا لا أعلم هذه التفصيلات، و لا أقدر أن أقولها. لكن أعتقد بما كان يعتقد به عليّ بن أبي طالب عليه السلام. قال الامام عليه السلام: هذا يكفيک.

يجب علينا أن نستعين بهذه الطريقة البسيطة. و قد رسم لنا الائمة عليهم السلام و القرآن المبادئ و القواعد التي يجب علينا أن نواجه بها الشبهات. و هذا هو معنى إرجاع المتشابه إلى المحكم. وعلى سبيل المثال؛ تعلم أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان معصوماً. لكن ما هو جواب الشبهة فى بداية سورة التحريم؟ و هذا سؤال، علينا أن نصل إلى جوابه بالتّحقيق و الدراسة. لكن منذ البداية نحن على يقين، أنّ عصمة النبى صلى الله عليه وآله وسلم، قاعدة محكمة و لا مجال للّطعن فيها. يجب علينا أن نعلّم الناس هذا الطريق، حتى إذا ما واجهوا شبهات، حافظوا على إيمانهم. علينا أن نمنح أنفسنا فرصة لنجد الجواب على الشبهات، و الله قد منحنا هذه الفرصة. علينا أن نبقى على مبادئنا و نقوم بالبحث عن جواب للردّ على الشبهات إذا لم نعلّم الناس هذا النهج، فإنّ العدوّ سوف يوسوس فى صدور الغافلين ويقرّبهم إلى معتقداته ودينه.

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2026-02-03]